

العوامل المكونة لشخصية المحتل الفرنسي وأثرها في تحديد سلوكاته اتجاه الجزائريين *Factors that shape the personality of the French occupier and their impact on determining his behavior towards the Algerian*

1- صبور لحسن. جامعة مصطفى اسطيمبولي معسكر (الجزائر)

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)

lahcene.sabour@univ-mascara.dz

2- أ. د. برنو توفيق، جامعة مصطفى اسطيمبولي معسكر (الجزائر)

taoufik.bernou@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2024 / 12 / 17

تاريخ القبول: 2024 / 12 / 13

تاريخ الاستلام: 2024 / 10 / 09

ملخص:

مما لاشك فيه أن فرنسا سعت لجعل الجزائر مستعمرة استيطانية واجتهدت في إيجاد شعب فرنسي بها، كما ارتبطت هذه السياسة بحركة توطين واسعة للمهاجرين الأوربيين تحت شعار "ليكن الاحتلال فرنسي والاستيطان أوربيا" وهكذا أوجدت جالية أوربية قدر لها أن تتولى دور الحامي لمصالح الاستعمار الفرنسي في الجزائر، متمكنة من تحقيق الهيمنة والتسلط وممارسة الجور الاجتماعي على الشعب الجزائري وانتهاك سيادته واستنزاف ثرواته وهذا بمساعدة ودعم كامل ولا مشروط، ومن خلال فرض سياسة العنصرية بكل أشكالها وممارسة العنف والاحتقار واللامساواة ضد الأهالي، مع برمجة عملية التجهيل والتفكير العمدي، كما استطاعت هذه الجالية الأوربية المتفرنسة بفضل امتلاكها للثروة من السيطرة على مراكز القرار في فرنسا والجزائر معا، والعمل على إفراغ أي مشروع اصلاحي فرنسي في الجزائر من محتواه. إن هذا العداء المحموم ضد الجزائريين يعكس التركيبة النفسية التي تشكل شخصية أوربي الجزائر التي تعاني من الانفصام والعقد، والتي برزت من خلال سلوكاتها اللاإنسانية ولا أخلاقية اتجاه الجزائريين عبر جميع عقود الاحتلال.

الكلمات المفتاحية: جالية أوربية- العنصرية- مراكز القرار- التركيبة النفسية- مشروع إصلاحي- شخصية أوربي الجزائر.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

There is no doubt that France sought to conduct its settlement project in Algeria and populated by the French people. This policy was also likened to a large settlement movement of European immigrants under the slogan "Let the occupation be French and the settlement be European". Thus, a fully supported European community was created to defend the French colonisation interests in Algeria, able to achieve hegemony, domination and injustice over the Algerians besides to violating their sovereignty and exploiting their wealth, moreover; they imposed the policy of racism in all its forms and practised violence and inequality against the indigenous following the policy of ignorance, impoverishment. This Frenchified wealthy European colony was able to control the decision-making centers in both France and Algeria, and to paralyze any French reform project in Algeria. This rigorous hostility against Algerians reflects the psychology of European people in Algeria which emerged through its inhuman and immoral behavior towards Algerians throughout all the decades of occupation.

Key Words : European Immigrants- Racism- Decisions'center- Psychological composition- Reform project- European personality .

مقدمة:

إنّ الظاهرة الإستعمارية مزمّنة عرفتها البشرية عبر تاريخها، مختلفة الأشكال والأساليب والآليات، ومتجددة الظهور بشكل آلي، قد تتسع رقعتها الجغرافية أو تضيق، ويتسع زمانها أو يقصر، وهي بمثابة صراع بين قوي متغطرس تغلبه الأنانية وضعيف رهن القابلية للإستعمار والخضوع لهذا القوي، والإستعمار الفرنسي للجزائر يعد أفضل نموذج لهذه الظاهرة.

إنّ الظاهرة الإستعمارية الفرنسية للجزائر وما عرفته من تحولات جوهرية في ميزان القوة العسكرية التي مكّنت الطرف الغازي من تحقيق الهيمنة والتسلط، وممارسة الدور الإستعماري على الشعب الجزائري، واختراق وانتهاك سيادته، واستنزاف ثرواته من خلال اصطناع المشاكل الاقتصادية والإجتماعية، والدعاية المغرضة والموجهة لتحقيق ذلك.

هذه الهجمات الموجهة ضد الشعب الجزائري لم تكن عسكرية فقط، بل كانت مدعمة بشكل كبير بمختلف العلوم الإستعمارية التي سخرت لهذا الهدف، علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم الإنسانية الأخرى، بغية تبرير النظريات المساندة لهذه الحركة الإستعمارية كنظرية مركزية الثقافة الأوروبية، والتفوق البيولوجي للعرق الأبيض والإنسان الأوروبي على باقي الأعراق، وهذا ما

ذكره "أبو القاسم سعد الله" عن الإستعمار الفرنسي كنموذج لذلك حيث قال : "أن الإستعمار الفرنسي لم يكن عسكريا بحتا وإنما ثقافيا وعلميا..."

لقد دفعت الظاهرة الإستعمارية العديد من المفكرين والمهتمين إلى تأسيس دراسات واسعة معمقة عن الظاهرة وعواملها، وبالأخص الاهتمام بدراسة واستكشاف أغوار المخيال الإستعماري قصد فهم بناء الشخصية والذهنية الإستعمارية (الإنسان الكولونيالي) في صورته القديمة الكلاسيكية واستيعاب سلوكاته في التعامل مع الشعوب المستعمرة، "الشعب الجزائري أنموذجا".

إن الدراسة لسلوكات المستعمر الأوربي كفرد أو جماعات أو ما اكتنفته سياساته المطبقة على أرض الجزائر وشعبها، تعكس جليا بناء الشخصية والذهنية لهذه النفسية، وهذا المعيار هو الذي يحدد هذه النزعة التسلطية التي مارسها وبشكل دائم اتجاه الجزائري، كفرد وجماعة وانتماء حضاري وديني... أثبت التاريخ أن الإستعمار الفرنسي للجزائر استلهم فلسفته وفكره من نظرية التفوق العنصري، وقد اعتمد على الغزو العسكري في فرض وجوده على الأرض مستعينا بمختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية والأنثروبولوجيا في ذلك.

ولتحديد سلوكات المستعمر اتجاه الآخر (الجزائري) وفهم واستيعاب سياسته المطبقة عليه طيلة مراحل وجوده بالجزائر، لا بد من دراسة هذه الشخصية ومعرفة بناء هذه الذهنية وإدراك مكان النزعة التسلطية على السكان الأصليين للبلاد، وانطلاقا من هذا كله نطرح السؤال التالي:

ما هي أهم ملامح شخصية الإنسان الأوربي المستعمر الإستيطاني بالجزائر وذهنيته المركبة؟

***مركبات ذهنية المستعمر وملامح شخصيته في توجيه سلوكه:**

يجمع علماء الاجتماع، أن الثقافات الشعبية تعد مدخلا علميا أساسيا لفهم البنية الذهنية للأقلية الأوربية، وعنصرا هاما في تحديد شخصيتها، فإن اهتمامات الشخص وميوله ونمط تفكيره تبرز بشكل قطعي ملامح ذهنيته وبناء شخصيته.

علما أن رواد العلوم الاجتماعية يعتبرون هذا البناء، جزءا أساسيا من أي معاملات، بداية من العلاقات الشخصية، كالصداقة إلى العلاقات العامة الاجتماعية والعرقية (الاثنية) والثقافية والدينية والروابط التاريخية والوطنية إلى العلاقات الدولية كالإتفاقيات التجارية والعسكرية، وإن اتسمت تلك العلاقات بالود والتعاون أو العدائية وفق ما تحدده الظروف القائمة.

نحاول التركيز على الثقافة الشعبية للأقلية الأوربية في الجزائر التي صنعت ذهنيته، وساهمت في بناء شخصيتهم، ثم حددت سلوكاتهم ومعاملاتهم للأهالي طيلة فترة احتلالهم للبلاد، فقد مثل منتوجهم الثقافي في إصدارات أدبية، كالقصص والحكايات والروايات، والتي كانت في مجملها مرآة عاكسة لاهتمام

المستوطن الأوروبي، وميوله الذاتية التي تبرز ملامح الذهنية، المحددة لشخصيته، هذا المنتج الثقافي يحتوي في غالبيته على مواقف لفظية لشرح سلوك يعتبر انحرافي لإدانة الآخرين (جون سكوت، 2009 : 316-317)، نعوت وأوصاف وتسميات وألفاظ تحدد الشخص الآخر بالدونية والتخلف والبدائية، وكل نقيصة إلا و تلصق بالجزائري.

أهم المكونات الذهنية والنفسية لشخصية المستوطن :

1- الإحتقار:

يرى شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله أن الثقافة الشعبية للأقلية الأوروبية بالجزائر، تعبر عن الحياة اليومية للإنسان الأوربي مع الفرد الجزائري، فهي سلوك الإنسان مع الإنسان والذي أصبح في الواقع يعبر عن علاقة حيوان مع حيوان (أبو القاسم سعد الله، 1996 : 47).

هذه الثقافة عبرت عنها الصحف الكولونيالية وما كانت تبثه على صفحاتها من مسرحيات ونشريات وغيرها، والتي كانت تحت إشراف هؤلاء المستوطنين، والتي تعد مؤشرا هاما في فهم ذهنية هذه الأقلية، ونوعية العلاقة والمعاملة القائمة بينها وبين الجزائريين.

وأكد سعد الله كون أن هذه الإصدارات الشعبية تعتبر مصدرا هام لمعرفة عقلية المستوطنين، كما تمنحنا مفاتيح الولوج إلى أغوار الذهنية الجماعية للإنسان الأوربي الجزائري، والتي ينظر إليها سوسولوجيا على أنها مؤشر متقدم في فهم المجموعة ونوعية علاقتها التي تبديها نحو الأهالي. كانت هذه الروايات تظهر دوما انتصار الأوربي على العربي وتأديبه، وتكريس فكرة الأوربي البطل والمنتصر دائما والمسيطر على الجزائري، وعليه نجد أن هذه الإصدارات مع تنوعها واختلافها تصب في قالب السخرية والتهمك والإستهزاء والتحقير للأهالي والخط من إنسانيتهم.

يؤكد علماء النفس والإجتماع على أن التعابير والمفردات والألفاظ التي يتداولها المستوطنون في صحفهم ورواياتهم، وكل مشارب آدابهم وثقافتهم، تعبر بكل صدق عن البناء الذهني لهذه الأقلية الأوروبية في الجزائر، في حين أن الأنثروبولوجيين يهتمون كثيرا بخاصية النعوت التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية، فاستخدام "العربي" بدل "الشعب"، فإن نعت الجزائري بالعربي يتضمن خصائص احتقارية، فمثلا حكاية عربية (تعني قصة معقدة وغير مفهومة)، وشغل عربي (أي عمل غير متقن وناقص ومشوه)، وكل شيء أنجز على الطريقة العربية أو قام به الجزائري، فإن ذلك يكتسب معنى منحط ووحشي ومتخلف وفاقد لكل ذوق جمالي، (أبو لقاسم سعد الله، 1996 : 59-61) حتى نجد من منطلق موروث ديني صليبي يهودي عند هؤلاء المستوطنين تحول اسم "فاطمة" - الشريف - إلى مرادف قليلة الأدب، وأصبح يطلق على كل النساء الجزائريات.

عددت الألفاظ والنعوت البذيئة والتي عمل المستعمر الأوروبي على إلصاقها بالجزائري حتى أصبحت ملازمة لشخصه أو عمله أو سلوكه، والتي أورد فيها سعد الله أبو القاسم "قوله أنها تستحق أن

نضع له معجما خاصا بهذه الألفاظ والتعابير والنعوت واللازمات الكثيرة" (أبو القاسم سعد الله، 1996 : 75-73).

والتي منها على سبيل المثال: كلمة العربي أو البيكو، فقير ومسكين، وجذر صال أراب (sal arab) ومنها كذلك المعدي، السارق، اللص، الخبيث، الشهبواني.... فباختصار، إنسان دون البشر وحيوان متوحش.... وغيرها من الألفاظ والنعوت والتعابير البذيئة. هذه هي حقيقة صورة الجزائري في المخيلة الفرنسية الإستعمارية في الوطن الأم أو في الجزائر المستعمرة فكلاهما يصفه بالإنسان المتوحش أو الحيوان دون البشر، والكائن المتخلف الذي لا يمكنه التعلم والتطور.

فهذا "عبد الرحمان ميزان شريف" يحدد ملامح نظرة المستعمر للأهالي بقوله: "...كانوا يمرون دون أن يرونا، كانوا ينظرون إلينا بتعالي واستضعاف، نظراتهم مليئة بالحدر والتهكم، لأننا كنا في أعينهم نمثل المجهول والغريبة، وكنا نمثل الخطر" (ميزان شريف عبد الرحمن، 2012: 18-19). وهي الظاهرة نفسها التي أكدها فرحات عباس بقوله: "... لقد تعود المستوطنون على تنشئة أطفالهم على احتقار الجزائري والخوف منه، والجهل به، وعلى هذا النمو يكبرون وهم يحملون عنه أحكاما مسبقة، وعليه يتولد الصدام، وعدم الوفاق والأحقاد..." (فرحات عباس، 2010-37). يعد هذا الوصف لأخلاقيات هذه الأقلية تحليلا بسلوكولوجيا وسوسيولوجيا يوصل إلى فهم مختلف سلوكياتها التي تمارسها على الأهلي.

2-العنصرية الاجتماعية والسياسية:

ورد في كتاب "صورة المستعمر" للكاتب اليهودي ألير ميمي « albert Memmi » أن مفهوم العنصرية أحد أوجه مكونات الإستعمار الأساسية عندما صرح قائلا: "... هي عنصر متوحد في الجوهر مع الإستعمار، فهي التعبير الأفضل للفعل الكولونيالي" (ألير ميمي، 2007، 78). فهي سلوكات وردود أفعال مكتسبة تتكرر منذ الطفولة، ثابتة ومعززة بالتربية، تظهر عفويا في الحركات والكلمات حتى الأكثر بساطة (ألير ميمي، 2007، 74)، فهي بذلك تحصر العلاقة بين المستوطن والجزائري.

أما "غولد زيغر" فقد وضعت علاقة الفريقين في إطار وصفي دقيق قائلة: "... إن العلاقة بينهما لم تكن متساوية بأي حال من الأحوال، فالعنصرية هي أساس هذا النظام الإستعماري.... لا أحد يجرؤ على أن يناقش تفوق الأوربيين" (غولد زيغر : 2005، 91).

إن هذا الواقع الذي يميز العلاقة بين الطائفتين، وما صاحبه من سلوك غير إنساني مارسه المحتل ضد الأهالي، فهو يعكس تناقضا وجدانيا، امتزج فيه الشعور بالخوف والرعب الذي أصبح يعيشه المستوطنون، بين الوهم تارة والحقيقة المرتقبة طورا آخر، والمتمثل في إمكانية انقضاء هذه الأغلبية

المسحوقة يوما واقتصاصها منهم، وهذا ما ولد لديهم الشعور الشديد بالكبرياء، والترف والمزيد من الغطرسة، ومعاملة الجزائريين بكثير من الإحتقار والعنصرية مع فرض عليهم قانون المناطق التجمعية لمنع اختلاط الفئتين كما حدث في جنوب إفريقيا (غولد ريغر، 2005 : 44). وعليه سنوا قانون "الأندجينة" لتكبييل حرية الأهالي ومراقبة حركاتهم وسكناتهم.

وما يدعم هذه النظرة العنصرية اتجاه الجزائري ما أكدّه "جول فيري" « jule ferry » في تقريره تحت عنوان "حكومة الجزائر 1892" " لا يتصورون إزاء الثلاثة ملايين من الأهالي غير سياسة الضغط والعنف، ولا يفكرون أبدا في حقهم في الوجود ولا يتخذون أي تدبير لاتقاء خطرهم السائد نتيجة تضاعف فقرهم والنمو المتزايد في أعدادهم" (شارل أندري جوليان، 1976 : 42)

واعتمادا على الجنرال الفرنسي " جورج كاترو" في مذكراته "داخل المعمة" سنة 1949م، الذي أكد على شعورهم الخارق بتفوقهم ونقائهم العرقي المزعوم، الذي ورثوه، منذ 1830م، ونظرتهم الضيقة وأفقهم القاصر ورغبتهم الإستعبادية لسكان الجزائر، فيصدر الحكم التالي:

"... الأهالي - في نظر المستوطنين - قاصرون خلقة، فلا يرضون ولا يساسون إلا بطريقة الشدة، ولا تنفذ الديمقراطية إلى عقولهم، ولا يستطيعون تطبيقها لأن مجتمعاتهم لا تعرف إلا أحد الأمرين: إما النظام الإقطاعي وإما الفوضى، إن العربي من جنس منحط لا سبيل إلى تأديبه" (شارل أندري جوليان، 1976 : 44).

وفي هذا المجال يستعين بنظرة "تساؤل أندري جوليان" إلى المستوطنين حيث يستغرب من سلوكياتهم غير المبررة واقعيًا، فهو يؤكد غرابته بقوله:

"...أمر الكثير منهم، عجيب بديع، متيقنين من اضمحلال الجزائر، لو لم يبق أهاليها راضخين للسيطرة الشديدة" (شارل أندري جوليان، 1976 : 59-60) ثم يستطرد قائلا بإصدار الحكم التالي:

"إنهم- الأقليات الأوروبية- من خلقة بيولوجية معارضة بكل تصميم وعنت لكل إصلاح في الميدان الأهلي" (شارل أندري جوليان، 1976 : 43).

وقد علل هذه المواقف العنصرية بضيق الأفق، والشعور بالتفوق والخوف غير المبرر من موجة المسلمين المتصاعدة (شارل أندري جوليان، 1976 : 42-44)، وذلك لاعتبارهم أن كل المشاريع الإصلاحية السياسية الفرنسية بالجزائر تعد أعمالا جنونية تهدد أمنهم الداخلي بالجزائر، بل تمثل تعديا على السيادة الفرنسية، ولهذا نجدهم رافضين ومتشددين في معارضة ومقاطعة أي بادرة إصلاحية وإن كانت جزئية، ومن منطلق الخوف والقلق على مصيرهم وسيادتهم المطلقة في الجزائر (شارل أندري جوليان، 1976 : 147)

فقد وقفوا بالمرصاد لمشروع المساواة الجبائية (إلغاء الضرائب، العربية التي كان يدفعها الأهالي فقط)، ومشروع المساواة المدنية (إلغاء قانون الأهالي) ومشروع المساواة الثقافية

(التعليم العام للجزائريين وفي كل المستويات باللغتين العربية والفرنسية، وغيرها من المجالات التي حاول الإصلاح الفرنسي الولوج إليها بغية التحسين النسبي لوضعية الأهلي (شارل أندري جوليان، 1976 : 44).

هذا الأديب والروائي "محمد ديب" في رواية الحريق" وانطلاقا من موقعه في المجتمع الأوربي الجزائري، كمعمر، شرطي، إداري، قاضي، حاكم، عسكري،... يعمل على تشتيت وحدة الجزائريين، وزرع الشكوك بينهم، وتغليب مجموعة على أخرى، فيكون سببا في عذابهم وتعطيل وكسر شوكة نضالهم وتضامنهم" (عبد المجيد حنون، 2013 : 383-386) وهذا ما يؤكد أنه لا يوجد معمر طيب مسالم وآخر قبيح متغطرس، فالكل يمثل الإستعمار في صورته الحقيقية، وما يثير العجب أن الميز العنصري الذي مارسه المستعمر لم يقتصر على الظواهر الإجتماعية فقط، بل تعداه إلى أمور طبيعية وبيولوجية إلى درجة تصنيف الخضر والفواكه إلى صنف فرنسي وآخر عربي، وهذه ليست تسمية الشيء لذاته بل هي نعوت للتفرقة بين جودة المنتج الفرنسي ورداءة المنتج الجزائري، ويقابل كذلك حي عربي (سيء) وحي أوربي (راق) إلخ...

كما لم تسلم الثقافة من عنصرية الفرد الأوربي، حيث بلغت أوجها لكونها نابعة من السياسة التعليمية الفرنسية المبنية على التجهيل العمدي والممنهج للأهالي، تطبيقا لشعاره "عدو جاهل أفضل من عدو متعلم، فنجد تمايز كبير بين المدرسة الفرنسية والمدرسة الأهلية، ولكل مدرسة شهادة خاصة بها، شهادة فرنسية وأخرى أهلية (محفوظ سماتي، 2007 : 189-190).

هذا السلوك أصبح فطري عند الفرد المستعمر ويكرّس من خلاله عقدته الفوقية اتجاه الأهلي الذي يراه أنه لا يرقى إلى مصافه كانسان يمكنه التعلّم والرقى، وعليه ظل أوربي الجزائر في معظمهم يعارضون إقامة المدارس للجزائريين وتعلمهم، وإجراء أي إصلاح في هذا المجال، وإن تم ذلك فهو حسب ما تقتضيه الحاجة، وفي حدود الهدف الإستراتيجي المراد تحقيقه للمصلحة الخاصة الفرنسية في الجزائر.

إضافة إلى هذا فإن هذه الأقلية الأوربية لم تكن تمتلك فكرا سياسيا واضح المعالم، ويتجلى ذلك في مطالبهم اتجاه الحكومات الفرنسية المتعاقبة في باريس، والتي كانت لا تخضع لمبادئ عامة، في معظمها متذبذبة بين الإدماج الكلي تارة، والإستقلالية عن المتربول تارة أخرى، وهذا ما أكده "جونارت" « jounart »: في تقريره حول ميزانية 1893م والذي جاء فيه: "...إنّهم إن حصلوا على الحريات والضمانات الإدارية حتى صاروا يطالبون بميزانية خاصة، وأكثر من ذلك نوعا من برلمان محلي.... كأنهم لا يتقيدون بسياسة واضحة المعالم وثابتة، بل منهجهم السياسي اتجاه الأهالي لا تحكمه القوانين والأعراف، بل يتلّونون كتلون الحرباء، أي يسلكون سياسة نفعية لما تقتضيه حاجتهم فقط، ويغلب عليهم طابع الأنانية والمصلحة الشخصية والمادية في توجيه سلوكهم السياسي اتجاه الجزائري بدون قيد قانوني أو خلقي. وهذا ما اشار إليه "شارل أندري جوليان" واصفا طبع هذه الأقلية بقوله:

".... هم قبل كل شيء مخلوقات يخضعون لدوافع الغريزة أكثر مما يخضعون لاستنتاجات العقل، فقد بقوا بالوراثة وبمرور السنين وتزايد الثراء يؤلفون مجموعة شخصيات أكثر مما يكونون مجتمعاً له إطار منظم، فلا يجتمعون إلا للدفاع عن مصالحهم الطبقية التي لا تتفق مع مصالح فرنسا ذاتها، كل ما يحلم به الكولون هو إقامة برجوازية إقطاعية، يحميها الجيش، ويقومون هم فيها بدور السادة، أما الأهالي فيؤدون دور العبيد...." (شارل أندري جوليان، 1976: 59).

قد أسهب كثيرا "جوليان شارل أندري" في التأكيد على هذه الصفة مستدلاً بمجموعة من الحقائق في مختلف المحطات التاريخية، والتي حسب رأيه تعتبر العامل الأساسي في طبيعة الإستعمار الفرنسي بالجزائر بنزعه الإستغلالية الفردية الميالة إلى الشدة والبأس اتجاه الجزائري، وهذه السمة نابعة من شعورهم القوي بتفوقهم، والإيمان بأسطورة نقاءهم العرقي، ونظرهم الأنية الضيقة الإستعبادية لسكان البلاد الأصليين.

3-الخوف والقلق من المصير المجهول:

إن المستوطنين ورغم القوة التي يملكونها، ومن ورائهم فرنسا الأم، ومع إحكام سيطرتهم على الجزائر أرضاً وشعباً، إلا أنه ظلت عقدة الخوف من المجهول تلازمهم، الرعب والقلق من العربي (الجزائري)، وقد أكد محمد حربي هذا الأمر بقوله: "... كان الهاجس الذي يقض مضاجعهم، هو خوفهم من أن تدور الدائرة عليهم وتنقلب الآية، لذلك كان الخوف من العربي راسخاً في أعماق العقلية الإستعمارية" (حربي محمد، 1994: 86-87) ويزيد "فرانس فانون" تأكيد هذه الخاصية النفسية لدى أوربي الجزائر وذلك عند قيام منظمة الجيش السري (O.A.S) قائلاً: "... القوى الإستعمارية التي أيدت وساندة مساندة تامة التجربة الفاشية، كانت واقعة تحت تأثير رعب مصدره الخوف من أي تطور يؤدي إلى تحقيق تصفية الإستعمار..." (فرانز فانون، 1980: 139).

فعلاً أن الزيادة السريعة في ديمغرافية الجزائريين كوّنت هاجساً دائماً للأوربيين، حيث غدت المستوطنات، والمدن محاصرة من الأهالي، وأنّ تزايد نفوذ الجزائريين المتصاعد وبالأخص عند إقبال الكثير منهم على استرجاع الأراضي المغتصبة وتملكها وبالطرق الشرعية والقانونية، قد تمثل لهم ذلك أنه بداية العد التنازلي لسلطوتهم، وبالأخص غداة بروز نخبة من الجزائريين المتعلمين والمثقفين الذين تصدروا المشهد الوطني، وقادوا فيما يهد المقاومة الفكرية عن طريق الجرائد والمجلات وإنشاء النوادي، والتي ساهمت في نشر الوعي، وإيقاظ الروح الوطنية.

وفعلاً دق نقوس الخطر وخاصة عند قيام الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية الجزائرية التي وقفت الند للند لكل مشاريع هذه الأقلية الأوربية.

قد جبلت عقلية المستوطنين على اعتراض أي إصلاح يمكن أن يمس بمصالحه ويقوّض البعض منها، وهذه العقلية هي نتاج إزدواجية الثقافة لديه، ثقافة العنف وثقافة الخوف، فثقافة العنف وجدت

جذورها في النظام الإستعماري ذاته، أما ثقافة الخوف فتولدت من الوجود الدائم للآخر، المختلف عنه في ثقافته ولغته ودينه وعاداته وتاريخه وحضارته وكذلك الخوف والقلق على مستقبلهم من أهل البلد الأصليين.

أصبح هذا الواقع يمثل خطرا دائما يهدد كيان المستوطن، مما يستدعي إزالته و التحكم في سيرورته، وأمام هذه الإشكالية اقترح منظري الحركة الإستعمارية الفرنسية مثل (الكس دو طوكفيل) "de tocqueville" في تصريح سنة 1847 الحل الجذري لها بقوله: "...بأنه إذن بالعكس، ودون أن نقول بأن هذه الأشياء أحيانا تقع، ولكن لا نعترف بها أبدا، فنتصرف بكيفية نبين فيها، بأنه في نظرنا، فإن السكان القدامى للجزائر، ما هم إلا عرقلة يجب إزالتها أو دوسها بالأقدام، إذ استطعنا أن نغطي سكانهم، ليس لترتيبهم في أذرعنا نحو الأفضل والنور، ولكن لإطفاءهم ولخنقهم، مسألة الحياة أو الموت تقع إذن بين العرقين" (كمال كاتب، 2011 : 435).

هذه النزعة تبثها فيهم صحفهم ومنظريهم، ولهذا نجد "عبد الحميد زوزو" في كتابه "محطات في تاريخ الجزائر" من خلال جريدة إفريقيا الشمالية يورد العبارة التالية التي تتأكد على ألسن المعمرين: "نحن الفرنسيون موجودون في بلادنا... أصحاب هذا البلد بالقوة، نحن إذن الملاك الشرعيين للبلاد" (زوزو عبد الحميد، 2004 : 230). لهذا يقومون بنشر غطرستهم كأثرياء جدد تحكموا في ثروات البلاد وأملاك العباد المغلوب على أمرهم (الأهالي)، وهذه الغطرسة نالت حتى من الأوساط الأوروبية الأقل ثراء والمستوطنين حديثي العهد بالهجرة إلى الجزائر كالاسبان الفارين من جحيم الحرب الأهلية ببلادهم (1936-1939) (قنون حياة، 2011 : 300).

قد صب فرحات عباس "حام غضبه على هذه الأقلية الأوروبية العنصرية واصفا إياها بقوله: "... إن هؤلاء الناس هم الذين كُونوا ثروات ضخمة، وأصبحوا يتحدثون حديث الأسياد، وهم الذين يتمتعون بالثروات والإمتيازات، هم الذين يرهقوننا باحتقارهم لنا، وحقدهم علينا، مضيفا قوله "هذا المجمع الذي نراه يتألب ضدنا كانوا طريدي البؤس من أوربا" (فرحات عباس، 2010 : 140-141).

هكذا هيمن المستوطن الأوروبي وبدعم من أباطرة باريس على الحياة الإقتصادية والاجتماعية والسياسية في الجزائر، وتمكن من فرض وجوده على مركز القرار الفرنسي في الحكومة والبرلمان محافظا على امتيازاته الواسعة، ومن هذا المنطلق عامل الأهلي باستعلاء وعنصرية، وتميزت سلوكاته اتجاهه بالاحتقار والاستخفاف مع تكريس سيادته شبه الكاملة على مصيره ردحا من الزمن.

وغدا هذا الجنس يوهم نفسه بالتفوق العرقي البيولوجي على بقية الأجناس الأخرى وبالأخص التي أصبحت خاضعة لإرادته من منطلق القوة والغلبة، بل الغريب في الأمر أنه يسعى لإيهام المغلوب بأن هذه المفارقة بين الجنسيتين تعتبر حتمية بيولوجية، وأن الأهلي يكتسب مورثات تختلف بيولوجيا عنه، حتى كادت هذه النظرية تتحول إلى حقيقة ملزمة للطرفين وإيمان منه بأن العنصر العربي لا يمكنه التطور في

الوصول بنفسه إلى مصاف الإنسان الأوروبي فتوجب عليه مسابقتها وتوجيهه وتطويره وتحضيره في حدود الممكن، وهكذا بني الأوروبي سلوكاته على ذلك في تحقيق كل آماله وأحلامه في الجزائر المستعمرة (أبو القاسم سعد الله، 2007 : 384)، مع إبقاء الأهالي بشكل دائم ومستمر تحت المراقبة والإحتراز من أي بادرة تمرد أو معارضة لوجوده بوطنه الجديد في اعتقاده وهذا السلوك يوجي بأنه يعلم يقينا أنه غاز ،ودخيل، ومغتصب لوطن غيره، وهذه المعضلة يعيشها كل لحظة وحين ولا تفارق مضجعه.

4-الكذب والخداع:

هي السمة الملازمة للمستوطن الأوروبي، قيادة ومجتمعاً على السواء، وإن عنواناً هذه الملازمة لهذه الفئة، فإنها رأس الصفات التي يتفنن في سلوكها اتجاه الآخر ويعتقد أن ذلك هو السبيل الناجع في التعامل مع الجزائري كيفما كانت مؤهلاته، وأن كل الصفات التي تتبع الكذب من المكر والخداع والنفاق والمراوغة والثورية والخيانة وغيرها هي دندنان هذه الأقلية الأوروبية التي عبثت في الجزائر تقتيلاً ونهباً وغصباً، وترى ذلك مبرراً شرعياً لإخضاع الأهالي وتحقيق الإستعمارية والبقاء في الجزائر إن لم نقل تحقيق الجزائر الفرنسية كهدف استراتيجي يأملون تجسيده على أرض.

أصبح الكذب من أهم مقومات الشخصية الإستعمارية والتي تجلت في مختلف الميكانيزمات التي يستخدمها المستوطن من عسكري أو سياسي، أو منظر للسياسة الإستعمارية الفرنسية داخل الوطن الأم أو في المستعمرات فيما وراء البحار، وتمثل هذا السلوك في عمليات التزوير وتلفيق التهم للخصوم، والعود الكاذبة، والتنكر للمواثيق والمعاهدات، والإخلال بالعقود تحت الشعار الميكافيلي: "الغاية تبرر الوسيلة".

من منطلق هذه السلوكات اللا أخلاقية التي برع فيها هؤلاء الأوروبيون، مستوطنون بكل الأطياف المكونة لهم، وموظفون مهما كانت مراكزهم ساسة وعساكر وإداريون، فوجدت أن سلوكاتهم هذه تندرج تحت معاني الحديث الشريف المروي عن أبي هريرة. رضي الله عنه. أنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آيات المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان"

إن كان المسلم يرى أن هذه الصفات المنبوذة لا تليق بأن يتصف بها أو يتخذها سلوكاً اجتماعياً له فهي في اعتقاد المستعمر أنها تمثل الذكاء والفتنة وحسن التدبير في التعامل مع الأهالي بغية تحقيق الغايات التي تقتضيها المصلحة، وتنعدم حينها كل معاني الأخلاق والصدق قولاً وفعلًا.

وفي هذا الإطار نورد بعض المحطات التاريخية التي عاشتها الجزائر والتي تبرز من خلالها هذه الخلال: ... التي مارسها الفرنسيون مع الجزائريين منذ دخولهم العاصمة الجزائر واكتساحهم مناطق الوطن غرباً وشرقاً وجنوباً، ولا تغدو هذه المحطات إلا نماذجاً تؤكد هذه الخاصية المكونة لهذه الشخصية الأوروبية.

رغم تعهد الفرنسيين في إتفاق جويلية 1830م باحترام الدين الإسلامي والمساجد والأوقاف وتقاليد السكان، فنجدهم وقبل حتى أن يقرروا الاحتفاظ بالجزائر من عدمه (1834م) أقدموا على هدم

المساجد وتغييرها تحت مبررات مختلفة، وكذا جرف مقبرة باب الوادي، ومصادرة الأوقاف الدينية بما فيها أوقاف مكة و المدينة مع الإستيلاء على مداخيلهما والتي استعملت في قمع المقاومة الوطنية وفي أغراض أخرى خدمة لمصلحة المستعمر، كما لم يلتزم الفرنسيون ببند تلك المعاهدة حتى أن القائد "كوزيل" قال بأن ذلك الإتفاق كان مجرد حيلة حربية. (أبو القاسم سعد الله، 2007 : 385).

وهذه عريضة أعيان بايلك قسنطينة إلى البرلمان الإنجليزي يؤكدون غدر الفرنسيين بالجزائريين وعدم إلزامهم بأي عهد أقاموه أو إتفاق أبرموه، فهذه مختصرات مما ورد في هذه العريضة: "... لكن الفرنسيين لم يحترموا هذه المعاهدة في جميع بنودها، بل سلكوا مسلكا مناقضا لها، نفوا الناس من أهل البلاد،... واستولوا على الحبس.... ووضعوا أيديهم على المساجد واتخذوا بعضها مساكن والبعض الآخر أجروها للتجار، ... وهدموا المنازل وقتلوا الناس بدون وجه حق وسجنوا آخرين... وانتكحوا حرية المقابر ... أما في الريف أوقعوا فيهم مذبحه (جمال قنان، 2009 : 77-80)، بالرغم من كونهم كانوا في حالة سلم معهم، لقد قتلوا شبابهم ونسائهم بدون رحمة،... فهذا عمل شنيع لم يسبق أن سجل تاريخ الطغاة نظيرا له" (اسماعيل العربي، بدون : 54-55).

وقد تم تحرير هذه العريضة في شهر شعبان من عام 1249هـ/1833م، إن هذه العريضة تكشف سوء الإستعمار الفرنسي وتفضح شخصيته الموصوفة بالكذب والمكر والغدر والخداع.

أما مع الأمير عبد القادر فقد عقدوا معه معاهدة "دي ميشال" في 28/02/1834م والتي تعهد فيها الطرفان باحترام الدين الإسلامي وإلزامهما بإطلاق سراح الأسرى مع إعطاء حرية كاملة للتجارة بمناطق نفوذهما (عبد القادر زيادة، الصادق الغولي، 1982 : 75)، وأمام زيادة نفوذ الأمير زاد قلق القادة العسكريين الفرنسيين عندها قرروا افتعال ذريعة لمحاربة الأمير من جديد وفعلوا خرقوا المعاهدة وعادت الحرب بينهما في معركة المقطع في 26 جويلية 1835م.

ثم جاءت مرحلة ثانية بالتوقيع على معاهدة "تافنة" في 30 ماي 1837م مع الجنرال "بيجو" التي استغلها المحتل في القضاء على مقاومة "أحمد باي" واحتلال عاصمة بايلك الشرق (قسنطينة) في أكتوبر 1837م ثم التفرغ لإنهاء مقاومة الأمير لتعود الحرب من جديد بينهما في 19 نوفمبر 1839، وهذا ما كان مخطط له الجنرال "بيجو" وأعوانه الذين قرروا أن تكون هذه الحرب حرب إبادة شاملة "ضد المقاومين أينما وجدوا" (اسماعيل العربي، بدون : 209).

وأمام محاصرة الأمير عبد القادر في كل منطقة لجأ إليها مثل المغرب الأقصى في شهر أكتوبر 1843، واضطر مغادرتها في عام 1845م بعد إرغام فرنسا سلطان المغرب "مولاي عبد الرحمان" على طرده، وقد حاول الأمير مواصلة المقاومة إلا أنه وجد نفسه في الأخير مضطرا في عام 1847م أن يقبل بشروط توقيع الحرب التي فرضت عليه من قبل القائد "لامورسير" شريطة السماح له ولأتباعه المقربين بالسفر إلى البلد الذي يختاره للهجرة إليه.

لكن المعلوم أن قادة فرنسا عسكريين وسياسيين لم يحترموا ذلك الإتفاق والعهد الذي قطعوه للأمير، وسبق إلى التراب الفرنسي ليسجن لمدة خمس سنوات بقصر لومبواز، إلى غاية إطلاق سراحه في عهد نابليون الثالث ويسمح له بالتوجه إلى بلاد الشام بعد تركيا، لتوافيه المنية بدمشق في 24 ماي 1883م، (لتنقل رفاته إلى مقبرة العالية بالجزائر العاصمة في 5 جويلية 1966 (عمار بوحوش، 2013: 119-120).

إن الوقوف عند هذه المحطات التاريخية تؤكد لنا أن شخصية المستعمر مجبولة على الخداع والمكر والكذب والنفاق، لا يصونون المعاهدات ولا يتقيدون باتفاقيات ولا يحترمون المواثيق، وإنما ما يحكم سلوكهم هي المنفعة الذاتية والمصلحة الخاصة فوق كل الاعتبارات والمبادئ.

5- الأمراض والعقد النفسية عند المستعمر:

إن الدارس لتاريخ الجزائر للمرحلة الإستعمارية الفرنسية 1830-1962، والموضوعي في أحكامه على علاقة أوربي الجزائر بالأهالي طيلة مرحلة الاحتلال هذه، ما ينفك من خلال الاستقراء العام لسلوكيات المستوطنين وهواجسهم من الجزائريين إلا ويدرك أن الشخصية الكولونيالية تعاني من الأمراض والعقد النفسية، وأن معاملتهم للأهالي تنم عن السلوك غير السوي لهذه الشخصية. ومن أبرز ملامح هذه الظواهر النفسية المرضية "السادية" (أنموذجا).

السادية *sadisme* نسبة إلى "دي ساد ماركيز" (1740-1814) وهي تعبير عن الشعور باللذة والاستمتاع بتعذيب الآخر والحق الألم به، ويعرفها علماء النفس أنها الميل المرضي للتعذيب مصطفى الأشرف، 2007: 21).

وهو مظهر من مظاهر الإضطراب النفسي الواقع تحت تأثير "الطبع الإجرامي"، أي صاحب هذه العلة لا يرتاح إلا إذا باشر ذلك السلوك العدواني الإجرامي ضد الآخر.

إن ملامح هذا المرض عكسته سلوكات المحتل وممارسة العدوانية ضد الأهالي والتي كان يباشرها معظم العسكريين الفرنسيين، قادة وجنودا، حيث كانوا يتفاخرون بقتل الجزائريين وتعذيبهم والتمثيل بجثثهم، رجالا ونساء وأطفالا. وتأكيدا لهذه الظاهرة جاء في قول "جاك بارك" من أن الإستعمار لا يكتفي براكاع المستعمر وتدميره بل يريد التلذذ به كمستعمر.

وهذا الكاتب والفيلسوف الفرنسي "جون بول سارتر" في كتابه "مجننون يشهدون" استقى شهادات مجندين ورجال دين والكثير ممن عاشوا في الجزائر المحتلة وعاشوا تلك المجازر الرهيبة المرتكبة ضد الأهالي عبر مختلف مراحل التوسع والاحتلال، ويصر "سارتر" على قراءة هذا الكتاب بقوله: "إني أوصي بقراءة هذا الكتيب، وأوصي جميع اللذين لم يعرفوه بعد، وأتمنى أن يقرأه جميع الفرنسيين، ذلك لأننا مريضون، مريضون جدا..." (جون بول سارتر، 1958: 35).

قد شهد شاهد من أهلها، ويقر وهو قامة علمية محترمة عالميا، بال نفسية المرضية التي تعاني منها الشخصية الإستعمارية الفرنسية في الجزائر، التي بدورها تفسر إشكالية الإقبال الأعلى للمستوطنين على ارتكاب الإبادة العرقية ضد الجزائريين التي ليس لها مبرر إلا القول أن هذه السلوكات سلوكات مرضية ليس إلا.

كثير ما ينتاب البعض منهم القلق والحيرة بين أداء الواجب في نظره والتطرف الإجرامي ضد الأهالي، وكثيرا ما يساورهم الندم وتأنيب النفس على اقرار تلك المجازر الرهيبة ضد الشعب الأعزل من المستضعفين من النساء والأطفال والشيوخ، وهذا "جون بول سارتر" يقرها صراحة.

"...فحين ألقوا بنا في مغامرة حقيرة، وضعوا في أنفسنا من الخارج شعور بالذنب الاجتماعي"(جون بول سارتر، 1958: 35)،

ويضيف "ألبر ميي" بأن المستوطن يعيش في حالة من احتقار الذات ومن اللوم الدائم لها، ولكونه يعلم يقينا صورته الحقيقية الدموية، نجده يعمل دوما على انتزاع صورة جيدة لنفسه، مبرا أعماله تلك مع إفشاء الشرعية على وجوده وأنه في مهمة تمدينية، وأن العنف الممارس ضد الأهالي هدفه التكفير عن الذنوب لكونهم في رسالة دينية تبشيرية مسيحية حسب اعتقادهم، وهو ما يصطلح عليه بالروح الصليبية.

في حين يقول بعض العسكريين لتبرير سلوكهم الإجرامي بأن من يواجه العرب يضطر إلى مثل هذه الأعمال لكونهم أجناس متوحشة، ولإثبات هذا السلوك الإجرامي الذي اتصفت به شخصية المحتل فإننا سنعرض بعض الصور الدموية التي اقترفتها أيادي أوربيي الجزائر منذ أن وطأت أقدامهم هذه الأرض لغاية مغادرتها وذلك قصد فضح جرائم الإستعمار الفرنسي في الجزائر.

في ظل تدهور العلاقات الجزائرية الفرنسية وخلال المقابلة التلفزيونية التي أجراها الرئيسي الجزائري "عبد المجيد تبون" مساء الأحد 10 أكتوبر 2021، مع وسائل الإعلام المحلية، تحدث عن جرائم الإستعمار الفرنسي بحق الشعب الجزائري منذ احتلاله البلاد عام 1830م حتى خروجه منها عام 1962م، وفي معرض حديثه عن هذه الجرائم قال الرئيس "تبون": "فرنسا استعمرتنا 132 سنة، كانت فيها جرائم بشعة لا تمحى بكلمة حلوة، توجد عائلات وعروش (قبائل) محيت نهائيا مثل الزعاطشة (جنوب شرق الجزائر) لم يبق منهم رضيع واحد"، وأضاف: "أسألو أهل الذكر والذاكرة ماذا فعلوا في مسجد "كتشاوة"... لقد قتلوا فيه أزيد من أربعة آلاف جزائري، استشهد هذا العدد بعد أن جرت محاصرتهم بالمدافع وإبادتهم"

بهذا التصريح يكون الرئيس قد قدم رواية رسمية عن أحد أبشع المجازر التي ارتكبتها فرنسا الاستعمارية بحق سكان الجزائر العاصمة، بعد أن اعتصموا بمسجد كتشاوة العثماني رفضا لتحويله إلى كنيسة.

حري بنا أن نستعرض هذه الحادثة أمانة للتاريخ، وحفاظا على الذاكرة، نبين حيثياتها والوقائع الملمة بها.

في أعقاب الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة، أصدر القائد الأعلى للقوات الفرنسية الدوق "دوروفيقو" «Duc de rovig» الذي كان تحت إمرة قائد الحملة الفرنسية الاستعمارية "دوبونياك" قرار يقضي بتحويل مسجد كتشاوة العثماني إلى كاتدرائية، وقام الجنود الفرنسيون على إثر ذلك بإخراج آلاف المصاحف من المسجد إلى الساحة المجاورة وإحراقها على الملأ، بشكل مشابه بجريمة "هولاكو" الذي أحرق مكتبة بغداد بعد اجتياحها.

وردا على هذه الأعمال العدوانية التي مست الحرمات الإسلامية ودفاعا عن المسجد، انتفض سكان العاصمة واعتصم أكثر من 4 آلاف جزائري داخل المسجد دفاعا عنه رافضين تحويله إلى كنيسة، عندها لم يتوان "الدوق روفيقو" وجنوده عن محاصرتهم ودك المسجد بالمدافع فضلا عن سحب المعتصمين عنوة إلى ساحة الشهداء وقتلهم جميعا، مرتكبا بذلك أفظع مجزرة بحق الجزائريين. بعد المجزرة أمر "ريفيقو" بهدم ما تبقى من المسجد من أجل بناء كنيسة مكانه، وقال جملته المشهورة "يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد إله المسيحيين".

وفي أعقاب ذلك وتحديدا في نوفمبر 1832م، حول ما تبقى من المسجد بعد إزالة المعالم الإسلامية إلى كنيسة سميت بكاتدرائية "سانتا فيليب"، صلى فيها المستعمرون أولى صلواتهم ليلة عيد الميلاد في 24 ديسمبر 1832م، وأثناء ذلك رفع الصليب على المسجد وقال قائد الحملة الاستعمارية آنذاك: "الآن انتصر الصليب على الهلال".

واحتفالا بتحويل مسجد كتشاوة إلى كنيسة، أرسلت الملكة "إميلي" زوجة "لويس فيليب" هداياها الثمينة إلى الكنيسة الجديدة، وأرسل الملك "فيليب" الستائر الفاخرة، كما بعث البابا "غريغور السادس عشر" تماثيل للقديسين لتزيين الكنيسة.

وبعد نيل الجزائر استقلالها واسترجاع سيادتها أعيد تحويل الكنيسة إلى مسجد مجددا وتحول مسجد كتشاوة "إلى أحد رموز الاستقلال في البلاد، وأقيمت أول صلاة به يوم 5 جويلية 1962 به، وكان خطيبها الشيخ البشير الابراهيمي.

ومن الفضائع الإجرامية التي اقترفها الجيش الفرنسي في عهد "الدوق روفيقو" إقدامه على ارتكاب "مذبحة العوفية" في 5 أبريل 1832 وهو ذبح القبيلة عن بكرة أبيها أثناء نومها أبو القاسم سعد الله، (2007: 50).

أما في أبريل 1845 يرتكب القائد "بيليسي" الذي كان تحت قيادة الجنرال بيجو "محرقه بمغارة" "الفراشيش" بجنوب تنس بناحية الظهرة، ضد قبيلة أولاد رياح بدعوى مشاركتهم في انتفاضة الطرق الصوفية، والتي راح ضحيتها ما يزيد عن ألف من أبناء الجزائر غالبيتهم نساء وأطفال إضافة إلى

الحيوانات(أبو القاسم سعد الله، 2007 : 220)، ولا زالت هذه المحرقة تحتفظ بها الذاكرة الجزائرية تجسد بربرية المحتل الفرنسي وتشخص نفسيته المريضة.

وبعد قرن من هذا التاريخ، لم يتوان هذا المستعمر أن يعود إلى تكرار جرائمه التي ألف ارتكابها ضد الشعب الجزائري، والتي تمثلت في مجازر 8 ماي 1945 التي مست الجزائر عامة والشرق الجزائري بشكل خاص وأكثر دموية، حيث تمت إبادة أكثر من 45 ألف شهيدا، نهيك عن الأحكام الجائرة، التي طالت أبناء الشعب من إعدامات ومؤبد مع الأعمال الشاقة والحبس المتفاوت في مدته أقلها خمس سنوات وما فوق، والغرامات القهرية لكسر شوكة الروح الجهادية وإخماد جذوة اليقظة الوطنية يومئذ. إن هذه الصور التي أوردناها هي مقاربة حية عن الذهنية الإجرامية الدموية التي تصبغ شخصية أوربي الجزائر بمختلف شرائحهم وطبقاتهم الاجتماعية وانتماءاتهم الاثنية والمذهبية وذلك طيلة فترة الاحتلال .

وانطلاقا مما ذكرناه تبرز لنا ملامح هذه النفسية لهذه الشخصية الاستعمارية ممثلة في تلك السمات المرضية التي كونت ذهنية هذا المجتمع الغريب في جسم الأمة الجزائرية، وعليه نخلص في الأخير إلى وجود أمتين مختلفتين في القوة والاتجاه أفقيا ومختلفة في التركيبة العنصرية والثقافية والدينية والحضارية عموديا، مما خلق استحالة الاندماج أو التعايش .

الخاتمة:

إن الأمراض النفسية لهذه الشخصية تتجلى من خلال تراكم السمات التالية:
من السّادية إلى عقدة الخوف والقلق واحتقار الذات وتجذر الكذب والمكر والخداع، هذا كله يمنحنا صورة واضحة عن نفسية المستوطن، كما يفسر لنا وبدون ريب تلك السلوكيات الكولونيالية المنحرفة واللاإنسانية، من شن حروب إبادة وتصفية أمة من الوجود، زيادة على شن حملات مسعورة ومنظمة لتزوير قيم ذلك الشعب وتراثه الحضاري والثقافي ومحاولة اجتثاثه من جذوره وأصالته لتسهيل إذاخته ودمجه كمكون تابع لمجرته يدور في فلكه الخاص.

هذه الرؤية الاستعمارية تعتبر عقيدة ومرجعية تحكم معاملة المستوطن للأهلي طيلة حقبة الاستعمار الفرنسي للجزائر.

البibliوغرافيا:

- أبو القاسم سعد الله (2007) الحركة الوطنية الجزائرية، ط خ، ج1، دار البصائر، الجزائر.
- أبو القاسم سعد الله، (2007) الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، دار البصائر، الجزائر.
- أبو القاسم سعد الله، (1996) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان.

- إسماعيل العربي، بدون، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ألبير ميمي، (2007) صورة المستعمر، ترجمة د/ميشال سطوف، مراجعة وعشراف سمير سطوف منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار (ANEP)، الجزائر.
- جمال قنان، (2009) نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- جون بول سارتر، (1958) عارنا في الجزائر، ترجمة عائدة وسهيل ادريس، دار الأدب، لبنان.
- جون سكوت، (2009) علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، لبنان.
- جوناك jonart حاكم عام للجزائر ثلاث مرات، الأول (1900-1901)، الثانية (1903-1911)، الثالثة سنة 1918، اشتهر بعدم التصديق على المقرنين الجزائريين وشجع الدراسات العربية الإسلامية، ينظر: - ali merad, l'enseignement politique de mohammed abdo au alperiens en 1903, in - revue orient, n°28, paris 1963, p12
- حديث شريف (رواه الشيخان)، ابن رجب (2018) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ط2، المدينة المنورة.
- حربي محمد، (1994) الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد، صالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
- زوزو عبد الحميد، (2004) محطات في تاريخ الجزائر والحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة الجزائر.
- شارل أندري جوليان، (1976) أفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية، تونس.
- عبد القادر زبادة، الصادق الغولي، (1982) تاريخ المغرب العربي الحديث، المعهد التربوي الوطني، الجزائر.
- عبد الله مقلاتي، (2013) في جذور الثورة الجزائرية....، شمس الزينان للنشر والتوزيع، الجزائر.
- عبد المجيد حنون، (2013) صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغربية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر.
- عمار بوحوش، (2013) التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.

- غولد زيغر آني راي، (2005) جذور حرب الجزائر 1940-1945، ترجمة وردة نبان، مراجعة حاج مسعود حاج، دار القصة الجزائر.
- فرانز فانون، (1980) من أجل أفريقيا، ترجمة محمد الملي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- فرحات عباس، (2010) الشباب الجزائري، من المستعمرة إلى المقاطعة، ترجمة أحمد منور، الجزائر.
- فرحات عباس، (2010) ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار الجزائر.
- قنون حياة، (2011) أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اللاجئون السياسيون الإسبان في الغرب الجزائري، 1936-1962، جامعة وهران
- كمال كاتب، (2011) أوروبيون، أهالي ويهود 1830-1962، دار المعرفة الجزائرية، الجزائر.
- محفوظ سماتي، (2007) الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، ترجمة محمد الصغير نباني، عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، الجزائر.
- مزيان شريف عبد الرحمن، (2012) حرب الجزائر في فرنسا، موريسيان جيش الخفاء، ترجمة العربي بوينون، دار الحكمة، الجزائر.
- مصطفى الأشرف، (2007) الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر والتوزيع الجزائر.